الرّمز والرّمزية في الشعر الليبي الحديث (شعر خالد زغبيّة أنموذجا)

أ. نعيمة مفتاح بركة ــ قسم اللغة العربية - كليّة الآداب ــ جامعة سبها -

Symbolism and symbolism in modern Libyan poetry
(khaled zaghbia's poetry as a model)

Naema moftah barkh

Abstract

This study dealt with the issue of symbolism in modern Libyan poetry represented . by the experience of the poet khaled zaghbia as a model . it began with an introduction that included the reason for choosing the research topic and the desired goal behind the study .it also mentioned what I had in myhands of previous studies and research in the field of its topic, with a comment summarizing the most important things contained in those previous studies. The method on which the study will be based was also mentioned,which is the descriptive analytical method.

Then the research steps pegan,which initially aimed to define the concept of(symbol)in the origin of the language,and the development of its meanings until the symbol became the pillar upon which the modern symbolic school in literature was built,and how that meaning depended on broadcasting suggestions and gestures in the multiblication of the literary work,aiming to create(amazement)and achieve the passion for(artistic craftsmanship)among many symbolic poest in western and arab literature ,respectively ,and then the transfer of symbolism to the poetry movement in lipya .

The study did not focus on the impact of symbolism in khaled zaghba's poetry-especially- as it focused on thepoets era after him in explaining the types of symbolism that were more prominent in his poems than others.blaha explains the basics of sex,which varied between the correspondent of the senses,diagnosis,internal diagnosis,internal dialogue.and the prediction of the rhyme,in order to sell what the psychological mood of the poet calls for.the study concluded with a

conclusion that included the most important results of the research,in addition to a listof dead sources and references.

الملخص:

تناولت هذه الدراسة مسألة الرمز والرمزية في الشعر الليبي الحديث ممثّلة في تجربة الشاعر خالد زغبيّة أنموذجا؛ حيث استهلّت بمقدّمة اشتملت على سبب اختيار موضوع البحث وأهميته ، والهدف المرجوّ من وراء الدراسة ، كما ذكرت فيها ما وقع تحت يديّ من الدراسات والبحوث السابقة في مجال موضوعها مع تعقيب يوجز أهمّ ما حوته تلك الدراسات السابقة ،كذلك تمّ ذكر المنهج الذي ستقوم عليه الدراسة وهو المنهج (الوصفي التحليلي).

بدأت بعدها خطوات البحث التي عمدت في بدايتها إلى تحديد مفهوم (الرّمز)في أصل اللّغة ، وتطوّر دلالته حتى غدى الرمز هو الّركيزة التي قامت عليها المدرسة الرمزية الحديثة في الأدب وكيف اعتمدت تلك الدلالة على بثّ إيحاءات وإيماءات في تضاعيف العمل الأدبي تهدف إلى خلق (الدّهشة) ، وتحقيق شغف (الصّنعة الفنية) لدى العديد من شعراء الرمزية في الأدبين الغربي والعربي على التوالي ،ثم انتقال الرّمزية إلى حركة الشعر في ليبيا.

ثم تمحورت الدراسة حول أثر الرمز والرمزية في شعر خالد زغبية - خصيصا - فبدأت بتمهيد عن الشاعر، انتقلت بعده إلى بيان أنواع الرمز التي بزرت دون غيرها في قصائده ، تلاها توضيح وسائل التشكيل الفنّي والتي تنوّعت بين تراسل الحواس ،والتشخيص ،والحوار الداخلي ، وتنويع القافية تبعا لما يستدعيه المزاج النفسي للشاعر، وانتهت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهمّ نتائج البحث، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع المبيّنة تباعا.

المقدمــة :

بسم الله الرحمن الرحيم ،الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد النبي الأمّي وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ...

يعنى هذا البحث بدراسة إحدى أبرز سمات وتجليات الحداثة في الشعر العربي عامة والشعر الليبي خاصة والتي برزت لدى عدد من الشعراء الليبيين في فترة الخمسينات والستينات في العصر الحديث ؛وهي (المدرسة الرمزية في الشعر)

ومحاولة تمثل واستهام معالمها الفنية والموضوعية على غرار ما فعله الشعراء المحدثون في الوطن العربي شرقا وغربا ، كلّ حسب رؤيته ووعيه بها.

ويهدف البحث تحديدا إلى دراسة أثر الرمزية في الشعر الليبي الحديث من خلال اتخاذ الشاعر خالد زغبيّة أنموذجا في هذه الدراسة ، لعدد من أسباب لعل من أولها أنه يعد أحد الشعراء الرّواد في الشعر الليبي الذين تأثروا في قصائدهم بالشعراء العرب البارزين في الاتجاه الرمزي من مثل الشاعر عبد الوهاب البياتي ، ونازك الملائكة ،وبدرشاكر السياب .

والسبب الثاني هو أنه على الرغم من غزارة وتنوع النتاج الشعري لهذا الشاعر إلا أنه لم يحظ بالدراسة والاهتمام الكافيين شأنه شأن الأدب الليبي عامة كما نوّه إلى ذلك عدد من الكتّاب العرب في مجال الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة .

تكمن أهمية البحث في العمل على تحقيق نوع الدراسة المتكاملة للجوانب الموضوعية والفنية لمظاهر الاتجاه الرمزي في شعر خالد زغبية ، بعد تتبع نشوء المذهب الرمزي في الثقافة الغربية ثم تلقفه والسير على نهجه من قبل بعض الشعراء العرب ، وصولا إلى تجربة الشاعر خالد زغبية في هذا المجال ،وتتّخذ الدراسة المنهج الوصفي التحليلي خصيصا؛ سعيا للوقوف على جلّ تلك الجوانب - بعون الله تعالى – المقصودة والتي تمثلت فيها بعض معالم المدرسة الرمزية في الشعر الليبي الحديث .

فيما يخص مجال الدراسات السابقة التي تناولت جوانب من موضوع البحث ،وجدت عددا من البحوث السابقة التي يمكن ترتيبها زمانيّا الأقدم فالأحدث على النحو الآتي:

1- الرمز في شعر الشاعر الليبي عبد الحميد بطاو ، رحاب محمد عيسى ، مجلة البحث العلمي في الآداب ، جامعة عين شمس ، العدد 16 ،الجزء الرابع ،2015.

2- صور التوظيف الأسطوري لشخصية (باتريس لومومبا) في الشعر الليبي الحديث قراءة في نماذج مختارة ، مجلة الأصالة جامعة السيدة محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، العدد الرابع ، 2022م.

3- دلالة الألوان قي شعر خالد زغبية ، حمزة شعبان علي الأحول ، مجلة جامعة الزاوية كلية التربية العدد 28 شهر 12 ، 2023م.

تناولت الدراسة الأولى الرمز ودلالاته في شعر عبد الحميد بطاو وبيان الصور الرمزية التي استخدمها لجذب انتباه المتلقي والتأثير فيه ،واهتمامه بقضايا وطنه وأمته. واختصت الدراسة الثانية بالبحث في التوظيف الرمزي -الأسطوري تحديدا – عند عدد من الشعراء الليبيين ، ودلالة كل رمز منها شكلا ومضمونا في تجارب أولئك الشعراء. في حين أولت الدراسة الثالثة اهتمامها بشكل خاص لتتبع اللون في شعر خالد زغبية ،ومحاولة الكشف عن دلاله الألوان فيه، ومدى قدرة الشاعر على التعبير عن واقعه باستخدامه ،وكذلك انعكاسه على التجارب الشعرية التي مرّ بها

((وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب))

المبحث الأول ـ الرمز والرمزية في الأدبين الغربي والعربي :

المطلب الأول ـ مفهوم الـرّمز :

الرّمز لغة هو((الإشارة أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان))((1))، فهو بهذا يعني التلميح دون التصريح .

أما(الرمز) عند علماء اللغة والاصطلاح يمكن رصده في عدد من التوضيحات التي وقفنا عليها في كتاباتهم ؛ حيث((يقصد الرمز إلى إثبات علاقة دائمة في ثقافة ما بين عنصرين ، فإذا كانت (الأيقونة) إعادة الإنتاج عن طريق التحويل.. وإذا كان المؤشر يسمح بالاستدلال عن طريق الاستنتاج.. فإن الرمز يسلك طريق وضع اصطلاح ما(2)، ويعبر بيريس عن ذلك المدلول للرمز بقوله: إنّ الرمز((علامة تحيل إلى الشّـيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على تداعي أفكار عامة ، ومعنى هذا أن العلاقة بين الرمز وما يدل عليه تستند أساسا إلى العرف الاجتماعي ، ومثال ذلك ما اصطلح على اللون الأبيض وغصن الزيتون فهما يمثلان رمزا للسلام.. فالعلاقة إذا بين الرمز ومدلوله هي علاقة عرف اجتماعي ، أو علاقة تواضع اجتماعي))(3).

بهذا يمكننا أن نتصوّر كيفيّة تكوّن الرّمز وارتقائه في معناه ،وذلك حينما ((ترتقي الصّورة الحسّية من كينونتها المادية إلى حيث تصبح بؤرة لإشعاعات إيحائية لا تعدّ .

وصحيح أنّ الرّمز في الأصل بدأ ككيان حسّـي يثير في الذّهن شيئا آخر غير محسوس؛ أي أنه يبدأ من الواقع لكنه بالخطوة التالية يتجاوز ذلك الواقع إلى ما وراءه من معاني مجردة ، كما أنه وبالإضافة إلى تحقّق المستويين الحسـي والتجريـدي في

الرمز ينبغي ألا يكون المستوى التجريدي المرموز محددا بكل قسماتـه وأبعاده؛ لأن أساس الرمز- كما سلف القول - هو الإيحاء ، ومعلوم أن الإيحاء ضد التقرير المباشر للأفكار والعواطف ، في هذا تنتفي عن نطاق الرّمز تلك الاستعارات والكنايات التي يقصد بها إلى استخلاص عبرة أو مغزى صريح(4).

المطلب الثاني ـ المدرسة الرّمزية في الأدب العربي :

تنوّعت وتجدّدت المذاهب الأدبية التي انتشرت في الثقافة الغربية في العصر الحديث منذ بداية النهضة الأدبية فيها منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وتلك المذاهب وضعت بناء على أسس عدّة تتعلـق بالأديب من جهة وبفكرة العمل الأدبي من جهــة أخرى .

وقد كان من تلك المذاهب التي انتشرت في عالمنا العربي في العصر الحديث على أثر اتصاله بالآداب الغربية ((المذهب الرمزي في الأدب)) . ومنذ بدء ذلك الاتصال في أوائل عصر النهضة العربية الـذي يؤرخ له ببداية حملة نابليون على مصر 1798م، وحتى يومنا هذا يجد المتتبّع للمذهب الرمزي اختلافات كثيرة بين الباحثين والدارسين حول تحديد تعريف أو مفهوم واحد له؛ لذا يمكننا البدء بتحديد بدايته التي تعود زمنيّـا إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ؛ حيث بدأ هذا الاتجاه في الأدب ((كردّ فعل للنزعة الفلسفية التي دان لها التفكير الأوروبي – في تلك الفترة – في تفسير مظاهر الكون عن طريق العلم والعقل والمنطق . لكن تلك النزعة عجزت عن حلّ مشكلات هذا الكون وفكّ رموزه ؛ فلجأ بعض المجدّدين إلى مبدأ اللّاوعي فاعتقدوا أن القوة اللّاواعية الكامنة في أعماق نفوسنا هي التي تدير شؤوننا وتسيطر على تفكيرنا، أو توجّه أعمالنا من حيث لا ندري. وقد غذّت تلك النزعة فلسفة ((كانت))،وموسيقى ((فاغنر)) وفنّ ((إدجار ألان بو)) المفعم بالغرابة والغموض ، فكان الشعر الرّمزي الذي وقف ضدّ البرناس والرومنطيقيين في الأدب والشعر ((5)).

وقد رأى أصحاب المذهب الرمزي أن تسمية الأشياء بمسمياتها تذهب بجلّ المتعة التي تتولّد من الحدس والإيحاء ،وجعلوا من غايات الرمز أن تلوّح بالشّيء لا أن تسميّه ، كما أنّه لا ينبغي للشاعر أن يستنفذ كلّ ما في وجدانه ليسكبه في وجدان الآخرين ، وإنما يلزمه أن يوحي إلى نفوسهم عن طريق الصّورة والموسيقا حالات نفسية تثير فيهم إحساسا مشابها لما يحسّ به هو. عليه ؛ فإن الرمزية اتجهت إلى

الحديث عن المجهول وأن تستثير بأسلوبها إحساس القارئ ، وأن تشد انتباهه في محاولة لأيقاظ مشاعره ليجد بنفسه ما يروقه في العمل الأدبي ، عسى أن يقف في تضاعيفه على مالم يخطر ببال الأديب نفسه .((6))

وفعليّا قد تأثر الشعراء العرب بهذا المذهب الجديد الذي طغى على الأدب العالمي والفكر الغربي بشكل كبير، وعقب ذلك انتقلت الرّمزية إلى أدبنا العربي على يد كتّاب وشعراء روّاد من أمثال : صلاح عبد الصبور ، وعبد الوهّاب البيّاتي ، وفدوى طوقان ،وبدر شاكر السياب ، وغيرهم ممن طبعت الرمزية أعمالهم الأدبية بعد اطلاعهم على الثقافة الغربية .

وكانت البداية في بلاد الشّام ومنها انتقل التأثر بالرمزية ألى مصر ثم إلى البلاد العربية.. يقول خليل حاوي – أحد أولئك الشعراء العرب الرمزيين- ((إن الشاعر الرّمزي يحاول أن يعبّر عن أسرار الحياة النّفسية السّحيقة ، عن أعماقها اللّا شعورية ، فإذا تمكّن من إنتاج ذلك التعبير استطاع أن ينتج قصيدة رمزية حديثة .. وعليه فإن الشاعر كي يكون حديثا أو رمزيا - بالتحديد - يجب عليه أن يتخلّص من محدوديّة التّفكير المنطقي ، ويتحرّر من سجن الوعي حتى يتسنى له أن يقبض على اللّحظة الحضارية النّفسية ،فيما تبرق وتخطف قبل أن يدركها الإدراك ويعيها الوعي ويجزّئها إلى معاني وأفكار((7)).

وتظهر للرمزية عديد من الحسنات التي تبلورت في نتاج الشعراء العرب فقد((تلوّن الأسلوب التّعبيري وابتعد عن التّقريرية والمباشرة وأصبحت القصيدة مصدر انفجارات شعورية - إن صحّ التعبير - في نفس المتلقي ؛ ذلك أنّ الشاعرالرّمزي ابتدع لغته الخاصة، وأسلوبه الشخصي معتمدا على الإيحاء ، فهو يرمي ولا يحدّد ،ويشير ولا يضع كفه على الحقيقة العارية المبتذلة ..وقد أخذ الشعراء العرب من الرّمزية على قدر استعدادهم .. فبعضهم مسّت الرمزية تجربته الشعرية في أسلوب الآداء ، وبعضهم اقتصر على الصورة الجزئية . ومع ذلك ظلّت القصيدة في يد هؤلاء عملا شعريا ناجحا له أثره في نفس المتلقي، وله إيحاءه ومناخه النفسي الجليّ ((8)).

1- المدرسة الرّمزية في ليبيا :

بدأت اتجاهات الأدب التي تأثر بها كثير من الشعراء في الوطن العربي تصل إلى الأدب الليبي وتظهر لدى الشعراء الليبيين في فترة ما بعد الاستقلال ؛ بفضل عدّة

عوامل من بينها انتشار المطابع في طرابلس وبنغازي ،والتي من أهمها المطبعة الليبية في طرابلس 1956م ، كذلك كان لقيام الصّحافة في ليبيا أثر في نشر الثقافة ورقي الأدب شعرا ونثرا .

وقد عرفت ليبيا ما يربوا على خمس وثلاثين صحيفة منذ أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين إلى بداية عهد الاستقلال ، بهذا زاد نصيب الشعر الليبي من التّجديد بعد قراءة النماذج العربية الجديدة ، وأصبح الشعراء الليبيون يتمثّلون وهم ينظمون قصائدهم المدارس الشعرية الحديثة وفي مقدمتها مدرسة (الديوان)، ثمّ مدرسة (أبوللو) ومدرسة (شعراء المهجر) ، وصولا إلى شعراء الواقعية والرمزية في الوطن العربي((9)).

وهنا نلمس وجود عدد من الشعراء الليبيين الذين تمثّلوا تلك المدارس والاتجاهات - إلى حد ما - في أدبهم من أمثال الشاعر خليفة التلّيسي ،وعلي صدقي عبد القادر، وعلي الفزّاني ، وإدريس بن الطيب ،والجيلاني طريبشان ،ومحمد الفقي صالح ،ومفتاح العماري ،وكذلك الشاعرخالد زغبيّة .لقد نسج أولئك الشعراء قصائد تحكي عن آمالهم وآلامهم ، وتبوح عن مكنوناتهم وعن معاناتة الناس في مجتمعهم .يقول إدريس بن الطيّب في قصيدة بعنوان (كـوّة للتنفس)) :

يبلغ المرء في آخر ليل غربته
حيث ينكره الكل
لا يستقيم له الودّ
لا وطن يجتبيه لأوجاعه
غير هذا الدّم المتوثّب للانسفاح
ولا زهرة أفلتت من رياح السّموم
ليزرعها في ابتسامات أطفاله ذات يوم((10))

وعلى الرغم من أن التجربة الرمزية لدى الشعراء الليبيين بدأت بسيطة أو سطحية إلى حد ما ، إلا أنه ومع تطوّر التجربة الشعرية المعاصرة لهم أصبح الاتجاه الرمزي أكثر نضجا ووضوحا؛ حيث يقف الرمز على حافّة اللقاء بيت الذات الشاعرة ومواجهة الحقيقة الباطنية للعالم والأشياء كما يؤكد إيليا حاوي؛((فالرمز ليس أداة تقرير ومقابلة وانتخاب ، فهو لا يقابل واقعا بواقع آخر ،ولا يفترض عليه ،ولا

يستعير منه ،ولا يكنّى عليه ؛بل إنه ينفذ في ضميره وفي نواياه ،فيطلع من قلب المادة الصّمّاء أرواح الحقائق الكامنة فيها(11).

وبعد هذا الوعي يمكننا أن ندرك التطور الذي حدث في استخدام الرمز لاحقا في تجارب الشعراء العرب والليبيين حينما فهموا أن((جزيئات الرمز ليست لها قيمة ذاتية ؛ بل تنبع قيمتها من وظيفتها الإيحائية في البناء العام للرمز ،فكل جزئية لا تعني أكثر من دلالتها الوضعية ، لكنها تعني الكثير متى أصبحت عضوا حيّا في جسم الرمز ، وفي هذا نكتشف حقيقة أخرى من حقائق الرمز الأدبي ؛فهو سمة في الأسلوب وليس سمة للكلمات((12)).

إن الشعر في ليبيا لم يكن في((معزل عن حركة الشعر العربي منذ الفتح الإسلامي لإفريقيا ، وقد كانت القصيدة القديمة تقليدا للقصيدة العربية الموروثة ؛ بنية وأغراضا على اختلاف في الموضوعات بما يتناسب مع تطور العصر، و كانت الحركة الشعرية الليبية حركة قيّمة تستحق الوقوف عندها بالبحث والكشف والدراسة نظرا للأهمية الفائقة التي يستحقها شعراء هذا القطر المغاربي الذي تبث من خلال تتبّع حركة الشعر فيه منذ الفترة التي سبقت الاستعمار ،أنه عانى مخاضا عسيرا في سبيل إرساء دعائم فنية مثّلت بؤرة الحدث الشعري الذي شهد له النّقاد المشارقة والمغاربة في بلادنا العربية.

وقد واكبت حركة الأدب تلك التجديد الذي هبّت رياحه في أصقاع العالم العربي شعرا ونثرا في بداية القرن العشرين ،فشهدت السّاحة الأدبية في ليبيا حركة شعرية ثورية تعلقت في جلّها بالأحداث التي زامنت الاستعمار في المغرب العربي ،فكان شعراء تلك الفترة هم الطلائع التي تلقّت الضربات وأحدقت بها الخطوب((13))، بيد أن ذلك لم يكن حائلا أمام تدفّق إنتاجهم وتطور تجربتهم الشعرية، بل لعلها كانت محفّزا ومنبع إلهام كبير لهم.

المبحث الثاني ـ أنواع الرمز ووسائل التشكيل الفني في شعر خالد زغبية :

تمهيد ـ الشاعر خالد زغبيّة، حياته وشعره:

هو خالد علي محمد زغبيّة ،ولد سنة 1933م في مدينة بنغازي وفيها تلقى تعليمه حتى تخرّج من الجامعة الليبية ونال الليسانس في الآداب من جامعة قاريونس سنة 1961م ، اشتغل مترجما وأمينا وإداريا للمكتبة بوزارة الإعلام والثقافة ، ونائبا لمدير التدريب ،ثم عمل رئيسا لقسم الفنون والآداب في الإدارة العامّة للثقافة بوزارة الدّولة

بدأ نظم الشّعر ونشر أوّل قصائده في جريدة الزّمان في سنة 1954م ، كما نشر نتاجه الصحفي في معظم الصّحف الليبية وبعض الصّحف العربية منها صحيفة ((العمل ، الحقيقة ،طرابلس الغرب، والفجر والميدان واليوم والثورة والأسبوع الثقافي ومجلة الرّوّاد، وكذلك في مجلة كلية الآداب في الجامعة الليبية . أذيعت بعض قصائده في سنة 1958م، وهي التي كانت بعنوان ((بلادنـا)) وقد كان ذلك سببا في محاكمته بتهمة التّعريض بالسّلطة .

تواصلت مجهودات الشاعر ومشاركاته في الكتابة والأدب ، حيث نال شهادة تقدير في عيد المعلم الأوّل في طرابلس سنة 1970م، واشترك زغبيّة في مؤتمرات وملتقيات شعرية عدّة ؛ منها على سبيل المثال : مؤتمر الأدباء الليبيين في طرابلس سنة 1960م، ومؤتمر الأدباء العرب في بغداد سنة 1969م ، والمؤتمر العالمي في بلجيكا 1970م)((14)).

بهذا واكب الشاعر خالد زغبية أقرانه في ليبيا فكان آخر العنقود في الجيل الرابع من الشعراء الليبيين ، حيث بدأ نظم الشعر في الخمسينات وعرف طريقه إلى مخالطة الكثير من القضايا التي كانت مطروحة آنذاك وأهمها كما يقول عنه زميله الشاعر علي الرّقيعي قضايا الحرية وكفاح الشعوب ضدّ الاستعمار والتّخلّف. ويأتي حضوره في القضايا العربية تحديدا في بعض القصائد التي نظمها في فلسطين والجزائر ولبنان وغيرها((15)).له عدد من المؤلفات أبرزها:

1- السّور الكبير ، ديوان شعر ، طرابلس ، دار النشر الليبية ، 1964م .
2- شاعر المرأة الأول ((نزار قباني)) طرابلس ، دار النشر الليبية ، 1974م.
3- صور من الشعر الليبي المعاصر ، طرابلس ، وزارة الإعلام والثقافة ، 1972م
4- أغنية الميلاد ، ديوان شعر طرابلس ، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب ، 1966م
5- غدا سيقبل الربيع ، ديوان شعر ، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، 1989م((16))

المطلب الأوّل: أنواع الرّمز ،ووسائل التّشكيل الفنّي في شعر خالد زغبيّة :

إن توظيف الرمز في القصيدة الشعرية الحديثة يعدّ سمة مشتركة بين غالبية الشعراء العرب والليبيين على مستويات متفاوتة ؛ من حيث الرمز البسيط إلى الرمز

العميق ، وإذا وظّف الرمز بشكل جمالي منسجم واتساق فكري مبدع فإنه يسهم في الارتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالاتها وشدة تأثيرها في المتلقي إلى حد بعيد .

وقد برزت في تجربة الشّعراء الليبيين - من بينهم شاعرنا خالد زغبيّة - عدد من أنواع الرموز التي شاعت وتنامى استخدامها لدى الشعراء العرب الرّمزيين ، كالرمز التّراثي ، والرمز التاريخي ،والرمز الديني ،والرمز الصّوفيّ والرمز الأسطوري، والرمز الطبيعي .

وتعرف دلالة تلك الرموز من خلال السّياق والتجربة الشعرية للشاعر ذاته ، حيث يعمد إلى دمج المعاني المتشابهة وصهر الأفكار المتقاربة في إطار شعري بديع . ومن أمثلة تلك الرموز في شعر خالد زغبية نجد توظيفه لها قد جاء على النحو الآتي:

1- الرمز الطبيعي :

تعدّ الطبيعة مصدرا لإلهام الشعراء قديما وحديثا ومنبعهم الذي لا يجفّ ولا ينضب ؛لذا فقد اتخذها الشعراء العرب المعاصرون وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وحالاتهم الشعورية التي تختلف من شاعر إلى آخر من حيث المفهوم والاستخدام ، فنجد الطبيعة بمفرداتها ومدلولاتها أضحت عنصرا مهما في التصوير الرّمزي والإيحاء الشعري،يقول خالد زغبية في قصيدة وجهها إلى زملائه من الكتّاب والأدباء اللّيبيّين :

اللّيل يعقبه الصّباح
يا أصدقائي السّاهدين
يا أيها المتلهّفون إلى الصّباح
لا تيأسوا..
إن طال ليلكموا..
لا تيأسوا ، فالليل يعقبه الصّباح ((17))

2- الرمز الدينـي :

تعدّدت المنابع التي استقى منها الشّعراء العرب والليبيون المعاصرون رموز شعرهم الدّينيّة ؛ فجاءت ما بين سورمن القرآن ، وقصص الأنبياء عليهم السلام، وكذلك بعض الأماكن المقدّسة دينيا ، ولعلّ رغبة كثير من الشعراء في استدعاء بعض الشخصيات المرتبطة بالدّين كانت بغرض إثراء النّتاج الفكري الإنساني والسّموّ

بالقضايا الإنسانية ،والاجتماعية ، والفكرية التي تناولوها وكتبوا فيها ، يقول خالد زغبيّة :

..واندلع اللهيب
يمتدّ للجبال والسّهول
فصارت الحقول
((كعصف مأكول))
وغاب عن عيون الأهل في اليابان
أقارب وأخوة وصبية صغار ((18))

3- لرمز الأسطوري :

يبدو أنّ للرمز الأسطوري مكانة كبيرة في الموروث الأدبي عامة ، والموروث الشّعري بشكل خاصّ وجليّ ؛ فالأسطورة هي أكثر الأدوات الغامضة التي يلجأ إليها الأدباء والشعراء لحقيق أحلامهم التي يطمحون إليها ، ولايجدون في واقعهم إمكانية لنيلها ،أو الظّفر بها ، فيكون الرّمز الأسطوري دون غيره ملاذا لهم والمحقّق لآمالهم . وهنا تقابلنا أسطورة ((سيزيف))اليونانية و التي تخلّد البطل الإفريقي((لومومبا)) في وجه جلّاديه :

سيزيفي ما مات شريدا
سيزيفي ماعاد وحيدا
في كونغويا
ألف سيزيف كونغولي
مازالوا ، صبرا
كالصّخرة
يرنون شوقا للقمّة ((19))

4- الرمز التّراثـي :

إن توظيف الرموز التراثية أو((الشّعبية)) من قبل الشاعر يجعله ينفذ بشكل تلقائـي ومباشر إلى وجدان المتلقي ومشاعره العميقة ؛ وذلك بسبب ما تتمتّع به الرموز التراثية من حضور حيّ ومتصل في الوجدان ، ما يجعلها أكثر قدرة على إحداث التأثير والاستجابة لما يرغب به الشاعر المعاصر ، وقد لا تقف القصيدة عند حدود استخدام الموروث الشّعبي في ذلك المستوى ، بل تتجاوزه محاولة توليد دلالات

معاصرة ومتفجرة ،في عملية تتظافر فيها مصادر التراث الشعبي من جهة ، والفكر الجمالي المعاصر من جهة ثانية .

.. وفي الأفواه لحن عندليب
ردّده الصّغار :
هذا قنديل ، وقنديل
يشعل في ظلمات اللّيل
هذا قنديلك يا حوّا
نوّارك فتّق من توّا ((20))

5- الرمز الإنساني :

تتميز الرّموز الإنسانية التي طرحها وتأثر بها الشعراء العرب والليبيّون المعاصرون بالتجدّد والانفتاح على الثّقافات الإنسانية بشكل عام وغير محدود ؛ حيث رأى كثير منهم في تلك النماذج والرّموز أيقونات ودوافع لاستنهاض الهمم وتجديد الشّعور بالانتماء الذي يغذّي الحسّ القومي لدى الناس ، كما وجدوا فيها بواعث ترنوا بهم إلى استشراف أمجاد وأحلام يشتركون فيها ويتوقون لمعانقتها واقعا معاشا :

.. مارتن لوثر
ما أروع أن يومض في الأعماق
ألف شعاع
ويجتاح الظّلمات
يجتاح ليل الأعداء
يعلوا في الآفاق نداء ((21))

المطلب الثاني ـ وسائل التّشكيل الفنّي في شعر خالد زغبية:

1- تراسل الحـواس :

إن تراسل الحواس أو تبادلها فنّ يحقّق دهشة الشعر عند المتلقي ، وهو يبرز من خلال تغيير وظيفة حاسّة ما بوظيفة حاسّة أخرى ، وبهدف التوسّع في الخيال وخلق صورة مميزة ، ومؤثرة إلى هذه الوسيلة الفنية ؛ إذ يستخدم الرمزيون تراسل الحواس ذاك ليتمكنوا من تصوير مشاعرهم وأفكارهم في سعة وحرية ؛ فمثلا نجد (إدجار ألن بو) يسمع قدوم الليل ، ويرى الصّوت ناعما رتيبا ينساب من كل قنديل إلى أذنه ، وغيره يشمّ من الورد الأصفر نغما حزينا، وهكذا))(22)،يقول خالد زغبية:

أطرق كلّ صبح ألف باب
لكنّما الآهات قد غدت مريرة في حلقي الجديب
لكنّما الدّروب أمحلت، فلم تعد دروب
لكنّما الأبواب أغلقت في وجهي الكئيب 23

2- التّشخيص :

يعرّف التّشخيص على أنّه((إبراز الجماد أو المجرّد من الحياة من خلال الصّورة بشكل كائن حيّ متميّز بالشعور والحركة والحياة ؛ أي أنّه اكساب صفة الحركة والحياة للجماد.(23)

هذا. وتتميز تلك الوسيلة الفنية بتوسع لغوي لم يعرفه القدماء باصطلاحه العصري هذا، لكنهم - بالتأكيد - وعوا التشخيص في الاستعارة المكنيّة التي تقوم أساسا على نقل كلمة عن شيء وضعت له إلى شيء لم توضع له في أساس اللغة ، وبتكثيف تلك الخاصّة في التشخيص يمكن أن يحصل الشاعر الرمزي على عالم نابض بالحياة مشعّ بطاقات الإيماء وفيض الدلالة ، لتجسيد رؤية فنيّة خلّاقة لها عالمها الخاص وطابعها المميّز والمتجدّد دائما.

يا قارب الإنقاذ في ليل الغريق
غرقانا في بحر الظلام يصارعون
موج العذاب .. يصارعون
ويلوّحون ..
لك من بعيد ، فأسرع إلى الإنقاذ
يا طوق النّجاة (24)

3- الحوار الدّاخلي :

يوظّف الشّاعر الرمزي مهارة الحوار الداخلي عامدا ؛ كونها إحدى جماليات اللغة التي تضفي على القصيدة جوّا دراميا ينبض بالحركة والتعبير، وذلك اللّجوء – المتكرّر للحوار- يبدوا طبيعيا إن علمنا أنّ ((وظيفة اللغة في الشعر أن تعبر وتبيّن ، لكنّ تجارب الإنسان التي وجد الشّعر للتعبير عنها دائمة التغيّر والتبدّل ،لأنها آخذة أبدا في الازدياد وكلّما نمت تلك التجارب وازدادت وجب على لغة الشعر أن تجاريها وتستوعب دلالاتها.(25

أوّاه ما أقسى الحياة

تلك الحياة القاسية
ترنوا بطرف ساحر صوب القلوب الفاجرة
أمّا الألي بذلوا شبابهمو
أما الألي عصروا رحيقهم
هل تدري ما كان المصير!؟(26)

لقد لجأ الشاعرخالد زغبية إلى توظيف خاصة الحوار الداخلي الذي ينقسم بحسب قوله إلى نوعين هما (المونولوج والديالوج)، فالأول هو محاورة الإنسان مع نفسه ، أو مناجاته مع نفسه وهو ما جاء في أبياته السابقة ،والثّاني يعمد فيه الشاعر إلى حوار شخصين أو أكثر وتداول الأفكار والآراء بين عدة أشخاص في العمل الفني الواحد)(27).

4- الأوزان والقوافي :

لم يخرج الشاعر خالد زغبية – كما غيره من الشعراء الليبيين- على النّهج الذي اتّسم به شعراء الرمزية من العرب الذين حذا حذوهم وحاول النظم على منوالهم ، وكما هو معروف أنّ أولئك الشعراء المجدّدين قد اتبعوا نظاما جديدا في نظم الشعر تمثّلت أبرز معالمه الفنية في أنهم قد ((تمرّدوا على القافية بداية لأنها - في نظرهم - معوّقة.

كما أنهم لم يتقيّدوا بالعروض التّقليدي فـي أوزان الشعر العربي ، بل و تجاوزوا قواعد النّحو إذا دعت إلى ذلك ضرورة موسيقية ، يستعين بها الشاعر على تحقيق ما يريد من الإيحاء الشعري . فلم يعد الشعر عندهم يخضع إلا لقاعدة واحدة ؛ وهي أنّ الانفعال الدّاخلي للشاعر هو الذي ينظم ضروب الوقف والسّكنات ويحدّد طول الأبيات ونوع القافية))(28).

ويبدو أنّ الشاعر خالد زغبيّة لم يذهب في التحلّل من تلك القيود إلى حد كبير، حيث التزم في أغلب قصائده بالبحور الشّعرية الصافية ،وأحيانا تنويع البحور في القصيدة الواحدة ، وكذا نجده يلجأ في بعض الأحيان لتنويع القافية لتفادي الرّتابة في لإيقاع الموسيقي للقصيدة ، وهذا التوجّه يظهر أيضا لدى كثير من زملائه في تلك الفترة.

الخاتمــة :

استنادا إلى ما تقدّم عرضه ومتابعته وتحليله من بدايات وجوانب لتجربة الشعر الرمزي في ليبيا ممثّلة في تجربة الشاعر خالد زغبيّة أنموذجا ، يمكن الحديث عن عدد من النتائج التـي نجمل أهمّها علـى النحو الآتـي :

1- بدأت تجربة الشعر الرمزي تظهر لدى عدد من الشعراء الليبيين تبعا لتأثرهم بالشعراء العرب الرواد في هذا الاتجاه الجديد من أمثال صلاح عبد الصبور، وبدر شاكر السّياب ،ونازك الملائكة ، وغيرهم ممن تلقّفوا مظاهر المدرسة الرمزية بدافع الاتصال بالثقافة الغربية وآدابها شعرا ونثرا.

2- اتجه كثير من الشعراء الليبيين إلى تجربة الشعر الرمزي من مثل خالد زغبية وعبد الحميد بطاو ،وعبد المجيد القمّودي ،وجيلاني طريبشان وغيرهم منذ أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الماضي ؛حين وجدوا في الرمز سبيلا للبوح والتعبير الآمن - إن صحّ التعبير- على صفحات الجرائد والمجلات العلمية.

3- اتسمت تجربة الشعر الرمزي في ليبيا بالبساطة والسّطحية في التعبير طال معظم قصائد شعرائها، إلا أنها أخذت في النضج مع استمرارها واتضحت معالمها لدى عدد من الشعراء من بينهم الشاعر خالد علي زغبية.

4- تنوّع استخدام الرموز في تجربة الشاعر خالد زغبية ؛ فكان منها الرمز الطّبيعي ، والرمز الديني ، والرمز الأسطوري ،والرمز التراثي ،والرمز الإنساني ؛ مما عكس محاولة الشاعر في التجديد والإفادة من عناصر الرمز بمختلف منابعها وتجذّراتها الدلالية ،وبكل ما تحمله في طيّاتها من الصّور والطاقات الإيحائية.

5- استطاع الشاعر الرّبط بين عناصر الرّمز في شعره ، وتعميق دلالتها باستخدام عدد من مهارات التّشكيل الفنـي التي تمثلت في توظيفه لأدوات مثل تراسل الحواس ، والتشخيص، وخاصية الحوار الدّاخلي في القصيدة مما ساعد على إضفاء جوّ من الحركة والحيوية فيها، كما حافظ في قصائده على الالتزام ببحور الشعر العربي المعروفة مقتصرا في التجديد على تنويع القافية في القصيدة الواحدة .

الهوامـش :

1-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي،القاموس المحيط ، دارالجيل بيروت،ط:1، جـ:2، ص:183.

2- سيزا قاسم ،نصر حامد أبو زيد :أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة ، مدخل إلى السيموطيقا ، دار العالم العربي، مصر القاهرة ، 1986، ص: 350.

3-بشير تاوريت ،مناهج النقد الأدبي المعاصر((دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر القاهرة ، 2008، ص: 142-143.
4-محمد فتوح أحمد،الحداثة الشعرية ((الأصول والتجليات))، دار غريب، مصر القاهرة ، 2007،ص:265.
5- نور سليمان،معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي، رسالة د كتوراة ، الجامعة الأمريكية ، بيروت لبنان، 1954، ص: 2.
6-الطاهر أحمد مكي، الشعر العربي المعاصر ،روائعه ومدخل لقراءته، دار المعارف ، مصر القاهرة ، ط:1980،1،ص:55-65.
7-غادة قويدر،الرمزية في الأدب العربي، دار العنقاء للنشر ، عمان الأردن،2018،ص:15.
8- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسة،دار الجيل بيروت لبنان، ط:1992،1،جـ:1، ص:272.
9-المصدر نفسه،ص:246-247.
10- منصف الوهايجي ، ديوان الشعر العربي في الربع الأخير من القرن العشرين تونس وليبيا، مجلة كتاب في جريدة،تونس ،العدد:11،.ص:31.
11-قريرة زرقون نصر،الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث،بداياتها،اتجاهاتها، قضاياها،أشكالها ،أعلامها،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان،ط:1،جـ:2004،1،ص:158-159.
12- محمد فتوح أحمد، جدليات النص الأدبي ، دار غريب ، القاهرة ،ط:2007،1،ص: 109.
13-عادل بوديار، الشعر الليبي أغراضة واتجاهاته الفنية ، جامعة العربي التبسّي ، تبسّة ، الجزائر ، 2020، العدد: 1 ، م : 4 ، ص: 31.
14-عبد الحميد عبدالله الهرامة ، عمار محمد جحيدر، الشعر الليبي في القرن العشرين ، قصائد مختارة لمئة شاعر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط:2002،ص:181.
15-نجم الدين غالب الكيب ، جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر ، الدار العربية للكتاب ليبيا ، ط: 1، 1987،ص: 82.
16-قريرة زرقون نصر ، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، مرجع سابق ،جـ:2، ص: 169-170.
17-خالد زغبية ،السور الكبير،ديوان شعر، وزارة الإعلام والثقافة ، طرابلس ،1986،ط:2، ص:91.
18-خالد زغبية ، أغنية الميلاد، ديوان شعر،وزارة الإعلام والثقافة ،طرابلس،1969، ص:53.
19-المرجع نفسه،ص:64.
20-المرجع نفسه،ص:15.
21- الطاهر أحمد مكي ، الشعر العربي المعاصر : روائعه ومدخل لقراءته،ص: 56.
22- خالد زغبية، السّور الكبير،ص:77.
23- أنوار مجيد سرحان، التشخيص في شعر أبي بكر بن القوطية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد:120، ص: 4.
24 - خالد زغبية ،غدا سيقبل الربيع ، ديوان شعر،الدار العربية للكتاب، طرابلس،ط:2، 1978، ص: 86.
25 - الطاهرأحمد مكي، الشعر العربي المعاصر، روائعة ومدخل لقراءته، ص: 79.
26 - خالد زغبية ، غدا سيقبل الربيع . ص: 14.
27- خالد زغبية، كتاب نقوش في ذاكرة التاريخ ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ،ليبيا،2005. ص: 170.
28- الطاهر أحمد مكي ، الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته،ص:57.